لجنة في اطار وزارة التعليم السورية لفحص الكتب الدراسية المستخدمة في كل المدارس السورية، ودعت خبراء اليونسكو العاملين في مدارس الـ «أونروا» في سوريا الى المشاركة فيها بخبرتهم الفنية. وفتح هذا الموقف العربي المرن الطريق للدول العربية للانتقال من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم، وخصوصاً بعد أن بدأت الهوّة تتسع بين موقف المدير العام لليونسكو وموقف السلطات الاسرائيلية.

كان أحد العناصر الايجابية التي تمخض عنها الهجوم الاسرائيلي، الذي شهدته ساحة اليونسكو، هو تأكيد المجلس التنفيذي لليونسكو حق الفلسطينيين في الارض المحتلة في تعليم وطني يحترم تاريخهم وتقاليدهم ولغتهم. وبعد أن تمّت تصفية موضوع الكتب المدرسية المقررة على طلاب مدارس الـ «أونروا»، في جو انتهى باتضاح مرونة واعتدال الموقف العربي وتشدد وتطرّف الموقف الاسرائيلي، التقطت مصر الخيط لتشن الهجوم على اسرائيل، وتطالب ببحث في أوضاع التعليم برمّتها في الاراضي المحتلة، في محاولة لكي تلعب اليونسكو دوراً للحفاظ على الهوية الثقافية للشعب الفلسطيني، وقطع الطريق على المحاولات الاسرائيلية.

كان المدخل الى هذا الهجوم هو قرار المؤتمر العام الخاص « بمساهمة اليونسكو في اقرار السلام ومهامها في ما يتعلق بازالة الاستعمار والعنصرية»، والذي أصبح، منذ العام ١٩٦٨، قراراً دورياً وبنداً ثابتاً على جدول أعمال المؤتمر العام، وكانت مصر في الدورة السابعة عشر للمؤتمر العام (١٩٧٢) عضواً في لجنة صياغة هذا القرار، واقترحت اضافة الفقرة التالية اليه:

«يدعو المؤتمر العام... المدير العام [الى] ان يجمع، بكل الوسائل الممكنة، معلومات عن أوضاع التعليم والحياة الثقافية لسكان الاراضي المحتلة، وعرض تقرير بهذا الخصوص على المؤتمر العام في دورته الثامنة عشرة» (الفقرة ١٩ من الجزء الثالث من القرار ١٧ م/١،١٠).

وتبدو مهارة استخدام هذا المدخل من زاويتين:

الاولى، التذكير بالطابع الاستعماري للمشكلة المطروحة للبحث، وهو ما كانت اسرائيل تحاول تجنبه.

الثانية، استخدام الوسائل المتاحة للمنظمات الدولية، حكومية وغير حكومية (من خلال اليونسكو)، للحصول على معلومات تفتقر اليها السلطات العربية قبل شن الهجوم الديبلوماسي، وحتى يكون هذا الهجوم مؤسساً على معلومات مصدرها المنظمة ذاتها.

ولتنفيذ هذا القرار، قام المدير العام بجمع المعلومات المطلوبة من مصادر متعددة، من بينها الحكومات المعنية، العربية والاسرائيلية، ومصادر أخرى. كما قام بايفاد مبعوث خاص له، من كبار موظفي اليونسكو، هي السيدة هرزوغ، المدير المسؤول عن تنسيق الانشطة الخاصة بحقوق الانسان في اليونسكو، الى المنطقة. وضمّن هذه المعلومات تقريره الذي عرض على المؤتمر العام في الدورة الثامنة عشرة (١٩٧٤)[١٤].

وقد وصف هذا التقرير بأنه موضوعي ومحايد، سواء من جانب الاطراف العربية، أو اسرائيل، فيما عدا تحفظ عراقي حول «اعتماد التقرير، بأكثر مما يجب، على النشرات الرسمية الاسرائيلية دون السعي الى تحري مدى صحة هذه المعلومات بشكل أكثر تعمقاً»[١٥]. لكن كل طرف حاول، بالطبع، التوقف عند الفقرات التي تؤكد وجهة نظره. وقد استندت الدول العربية الى المعلومات الواردة في التقرير، والتي تؤكد قيام اسرائيل بادخال تعديلات جوهرية على الكتب المقررة في مدارس